

جديد المخرج المصري محمد صلاح

"جزر".. سرد العزلة بتقنيات الديجيتال

محمد ممدوح

من يرى فيلم



لقطة من الفيلم

المخرج المصري الشاب "محمد صلاح" والمعنون بـ"جزر" سيعجب حقا به، ليس بالفيلم وحده، بل بالقدرات التي استفاد

روابط من إسلام أون لاين

- أفلام الموبايل.. الحرية بأجنحة التكنولوجيا
- أفلام الصيف.. وسطوة المنتجين
- "انهض يا مغرب".. كوابيس وأحلام مرة
- عبد الله المحيسن: أفلامي تنحاز للإنسان
- أفلام صيف مصر.. كوميديا



دردشة

ثقافة وفن

خدمات

- مواقع ثقافية
- أجندة الفعاليات جديد

بمقاس أبطالها

منها من تقنية التصوير بالديجيتال، وسيبدو للمشاهد أن فيلما كـ"جزر" كان سيخسر الكثير لو لم يصور بهذه التقنية.

ورغم الكثير من الإشكاليات الفنية والجمالية والتقنية التي تثار عندما نسمع عن فيلم سينمائي صور بتقنية الديجيتال فإن هناك العديد من المميزات التقنية والفنية والنفعية التي يمنحها الوسيط الذي احتضن تجارب مختلفة حاولت الهروب من سيطرة رأس المال المهيمن ومنها تجارب السينما المستقلة في العالم بأسره، وكان آخر التجارب التباسًا ونجاحًا تجربة السينما المستقلة في مصر بما تطرحه من جماليات مغايرة ورؤية مختلفة.

وهنا -ولنتهم بالانحياز الشديد- سأقول إن الديجيتال هو نافذة المستقبل التي لن ينظر من خلالها الفنانون المستقلون فقط، بل سينظر لها فنانو السينما التجارية أيضا بعد اتجاه الكثير من مخرجي السينما العالمية له لتحقيق أفلامهم وآخرهم: "دايفيد فينشر" و"دافيد لينش" و"روبرت رودريجز" وغيرهم.

فاتحة شهية

إذن جديد محمد صلاح في "جزره" هو فاتحة شهية للحديث عن كل ما سبق، ومن الاسم والذي يعني الوحدة والانعزال يقترب المخرج من عزلة أبطاله وشخصيات عمله لتوجيه المشاهد وتهيئته لما أصبح يعيشه، حيث مزيد من العزلة برغم عيشنا في عالم صاخب.

ويبدو محمد صلاح بفيلمه الجديد الذي استغرق نحو 3 سنوات بغوص توغل في عمق قصة فيلمه من خلال الوحدة والوحشة التي تعيشها شخصياته داخل عوالمها الذاتية المغلقة والمنفصلة عن الآخرين دون أي خيوط تربط بين هذه العوالم وعوالم الآخرين.

هذه الفكرة التي يتتبعها المخرج والمؤلف من خلال سرد متقاطع لعدد من الشخصيات التي تعتبر حياتها تنويعة على نفس التيمة. عبر حالة من حالات المبالغة التي تصل في بعض الأحيان إلى الكاريكاتورية.

يحكي صلاح أن تكلفة فيلمه كانت محدودة وأنه واجه عددا من المشكلات لتمويل هذا الفيلم، ولا بد أن نشير إلى أن التكلفة لها تأثير مهم على الشق الإبداعي والفني والجمالي داخل العمل السينمائي؛ فتوفير التكاليف لم يمنح جيلا من الفنانين الشبان القدرة على صنع أفلامهم الخاصة خارج إطار آليات السوق المسيطرة فقط، بل انعكس أيضا دخل سير عمليتهم الإبداعية والفنية وذلك باستخدام تقنية الديجيتال، تلك التقنية التي مكنتهم من محاولة تجريب كل ما يدور بذهن صانع الفيلم وإعادة

بعض المشاهد لأكثر من مرة للحصول على أفضل نتيجة ممكنة.

وعن تلك النقطة الأخيرة لنا في شهادة المخرجة "كاملة أبو ذكري" عن فيلمها "نظرة إلى السماء" عبرة ووقفة فتقول: "كنت أجرب كل ما يخطر على بالي بدون خوف من التكلفة أو نفاد الخام وفي بعض المشاهد كنت أعيد 13 أو 15 مرة حتى آخذ أفضل ما لدى الممثلين، وقمت بتصوير 7 ساعات لن يظهر منها في الفيلم سوى 25 دقيقة"، (أي النسبة حوالي 1:15 بينما متوسط التصوير في السينما 1:2 أو 1:3).

وتبدو الحاجة لتصوير عدد كبير من الساعات بشكل ملح في الأفلام التسجيلية الطويلة، فقد صورت "تهاني راشد" عدد ساعات يقترب من الستين ساعة لتصنع منها فيلمها "البنات دول" والذي يبلغ مدة عرضة ساعة و6 دقائق، كما صور "تامر عزت" ما يقارب من الـ25 ساعة أثناء تحقيق فيلمه "مكان اسمه الوطن".

وعلى الرغم من أن لانخفاض الميزانيات دور هام في توفير مساحات هائلة من الحرية والديمقراطية في صنع الأفلام وفتح الباب أمام الكثير من الشباب الذين يرغبون في صناعة أفلامهم بعيدا عن شركات الإنتاج التقليدية فإن ذلك يحوي إشكالية كبرى تحد من حرية صانع الفيلم في تحقيقه لفيلمه؛ فحجم الميزانية تتدخل وتؤثر في عملية كتابة الفيلم، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع محمد صلاح أن يحقق فيلماً متميزًا برغم انخفاض الميزانية عما كان يتوقعه ويطلبه لفيلمه.

جزر.. جزر

وها نحن أمام المذيع الصامت الذي يبدأ الفيلم والذي يستعرض لنا من خلال برنامجه بقية الشخصيات:



لقطة من فيلم جزر لمحمد صلاح

الفتاة المثقفة التي تعيش وحيدة أسيرة لشعور مبالغ فيه من الرهاب والارتياب من الآخرين، والتي تقوم بكتابة خطابات وترسلها لنفسها.

نتعرف أيضا على الشاب والشابة اللذين يعيشان علاقة عاطفية افتراضية من خلال الدردشة على الكمبيوتر واللذين يفشلان في التواصل الفعلي الحميم في أثناء لقاءاتهما وما يلبثان أن يعودا للتواصل عبر الكمبيوتر حتى وهما يجلسان جوار بعضهما البعض.

هناك أيضا السيدة العجوز التي تعيش بمفردها والتي لا تجد أي متعة في حياتها سوى أن تعيش تفاصيلها وتستغرق داخل هذه التفاصيل مثل مشهد تأملها في اللبن وهو يختلط مع الشاي أو أن تتحدث مع نبتة ترعاها وكأنها صديقة.

كما يطالعنا أيضا زوجان دائما الشجار والعنف مع بعضهما دون سبب واضح وفي مبالغة أضفت بعضا من المرح على أحداث الفيلم الدراماتيكية.

وأخيرا شاب يعمل في تنظيف الحمامات، يعاني من قسوة مشرفه في العمل، ويستمد جميع ردود أفعاله وينظم انفعالاته من الأفلام السينمائية.

عبر سرد متقاطع يستمد إيقاعه من الحياة التي تعيشها الشخصيات ودون أفعال حقيقية، يحاول الفيلم الاقتراب من حال كل شخصية وتأملها عن قرب.

وقد عبر "صلاح" عن حالة الوحدة والانفصال والوحشة، إضافة لما سبق عن طريق اللقطات البعيدة والبعيدة جدا لتكوين معادل بصري للوحدة والانفصال خاصة في حالة الفتاة التي ترسل خطابات لنفسها.

أما السيدة العجوز فدائما يثبت صانع الفيلم الكاميرا ويلتقط لها تفاصيلها المملة والرتيبة، وهي تفاصيل لم يقم المخرج بتقليصها في أثناء التوليف بهدف التعبير عن الحالة، كما كان دائمًا يأتي بتكوين اللقطات إطاريًّا، فالسيدة مثلا تبدو داخل إطار يضغط عليها كجدران زنزانة.

وهو في ذلك مخرج يستفيد لأقصى درجة من مميزات التصوير بالديجيتال، حيث إن الحجم الصغير وما يهبه من مرونة في أثناء التصوير والولوج لأماكن من الصعب تحقيق تصويرها دونها ميزة كبيرة ومكسب فني وتقني هائل.

ذلك أن الكاميرا كما يشير بيتر فرايدمان: "هي أداة جيدة جدا للأفلمة في الأماكن الصعبة بدون تحضير، يمكن أن نضع الكاميرا في الجيب وننساها وهى لا تحتاج إلى أي إضاءة، إنها إشارة للنزهة والحياة اليومية وأداة تدخل التلقائية في تصوير الفيلم، بالإضافة لنوعية صورة مضمونة بشكل كامل".

تجربة التصوير مع الفيديو الرقمي مميزة، فالكاميرا صغيرة جدًّا، ولا تحتاج لإضاءة صناعية وبالتالي يمكن إخفاؤها أحيانا عن الناس، ومن ثم تصور الأبطال وسط بيئاتهم بطريقة طبيعية جدا، والأكثر من ذلك أنه يمكن استخدام الناس في الشارع كمجاميع دون أن يشعروا.

من ناحية أخرى، يمكن في أثناء التصوير وضع الكاميرا في أماكن وزوايا لا يمكن أن توضع فيها كاميرا السينما، وهي ميزة تنعكس بشكل إيجابي على تحرر المخيلة الإبداعية عند صناع الأفلام وجعلهم يكسبون مساحات إضافية من الحرية والطزاجة في التعبير.

كما تجدر هنا الإشارة لأمر في غاية الأهمية وهو أن نقطة جوهرية -وتحديدا في بلد كمصر- فكاميرا الديجيتال تساعد صناع الأفلام على التصوير في العديد من الأماكن دون الحصول على تراخيص أو أذون تصوير في ظل تضييق الخناق من السلطات التي تمنح التراخيص ووجود قواعد وشروط صارمة للحصول على هذه التراخيص خاصة بعد عرض عدد من الأفلام التي وجدت فيها الدولة تشويها وإهانة لصورتها.

وصلاح نموذج لافت في الاستفادة من كل ذلك وتحديدا من سهولة عمليات المونتاج الرقمي وسرعته وغيرها من إجراءات ما بعد التصوير، فمثلا عندما يتناول شخصية "أشرف" حرص أن يمزج دائما بين حياته الواقعية وما يماثلها من لقطات في الأفلام العربية أو الأجنبية.

ومن خلال كتابة إلكترونية على الشاشة يعبر الفيلم عن شخصية الشابين اللذين يعيشان في عالم افتراضي عبر الكتابة على برامج الشات دون تواصل حقيقي.

ويلخص محمد صلاح قضيته الأساسية في مشهد النهاية وهو واحد من أطول مشاهد الفيلم والمشهد الأول الذي يجمع شخصياته جميعا معا. حيث تجلس الفتاة التي ترسل الخطابات على إحدى الآرائك في إحدى الحدائق العامة تأتى بعدها السيدة العجوز فتقرر الفتاة أن تغادر المكان لكنها تعود وتبدأ في الحديث معها، ويبدأ اللون الأصفر في السيطرة على المشهد في دلالة للدفء الذي بدأ يتسلل إلى حياة كل منهما.

لتأتي بقية الشخصيات تباعا تجلس بجوار بعضها، وكأنها جزر منعزلة، بعضها يتواصل مع الآخرين، ولكن الأغلبية لم تفعل ذلك، تحافظ سواء بإرادتها أو رغما عنها على وحدتها ووحشتها وانفصالها عن الآخرين.

بين التحايل والتأكيد

عيوب كثيرة استطاع محمد صلاح في فيلمه أن يتلافاها، فالتقدم التكنولوجي سواء على مستوى ظهور أجيال متطورة من الكاميرات والأجهزة أو عن طريق خبرة صناع الأفلام بوسيط الديجيتال هذه الخبرة المتنامية والمتراكمة والتي تجعلهم يبتكرون ويكتشفون حلولا عملية للتغلب على هذه المشاكل أو استغلالها فنيا.

فالمخرج المصري "أحمد أبو زيد" صاحب فيلم "من بعيد" والحائز على الجائزة الأولى للمهرجان القومي للسينما المصرية 2004 لم يحاول التحايل على صورة الديجيتال أو الفيديو، بل على العكس حاول تأكيدها بشكل أقوى في بعض الأحيان.

فلم تكن هناك محاولات جادة لتحري مساحات الجماليات الخاصة التي يتيحها الوسيط أو التجريب لاكتشاف الإمكانيات أو التسهيلات التقنية والعملية التي يوفرها الوسيط ربما باستثناء بعض التجارب القليلة ومنها "أحمد أبو زيد".

"صلاح" في جزر أفلت من ذلك الفخ متمتعا بمميزات الديجيتال وصانعا فيلما متميزا تملؤه أجواء الوحدة والوحشة وهو ما نجح تماما في إيصاله لجمهور عربي وغربي وتحديدا في مهرجان برلين السينمائي.



تواصل مع ثقافة وفن

أخبار وتحليلات | شرعي | دعوي | تزكية | نماء | علوم وصحة | ثقافة وفن | حواء وآدم | مشاكل وحلول | وسائط متعددة

من نحن | اتصل بنا | أعلن معنا | ادعم إسلام أون لاين | سجل الزائرين | خارطة الموقع

حقوق النشر محفوظة @ 1999 - 2007 إسلام أون لاين.نت |شروط الخدمة |كلمة الشيخ القرضاوي